المشـــــــروع التربـــــــوي

تمهيد

١. إن الآباءَ اليسوعيين، الذين كانوا دائمًا حريصين على تقليد رهبانيتهم القديم، هدفوا، يوم أسسوا مدرسةً في لبنان، إلى أن يوفروا فيها تنشئةً إنسانيةً ذاتَ مستوى رفيعٍ، كما سعوا إلى توسيعِ الآفاق الرسوليةِ لخدماتهم الكهنوتية.
وفيما هم يتوجّهونَ إلى الشبانِ الناشئينَ، وفي السن التي تخوِّل هؤلاءِ استيعابَ القيم الإنسانية المسيحيةِ بطريقة عقليةٍ منطقية، كانوا يسعون، خلال كل سنوات تعليمهم، لأن يكونوا جديرين بتوفيرِ معرفةِ الحقيقة ومحبّتها، لأنها السبيلُ الوحيدُ إلى الله تعالى، وذلك بالنسبة لكل تلاميذهم، مسيحيين كانوا أم غيرَ مسيحيين.
إن مقاصد المؤسسين الأوائل هذه، لا تزال هي هي بالنسبة للقيّمين الحاليّين.

٢. لقد طرأت على المدرسة، منذُ تأسيسها، بعض التعديلات التي لم يكن منها بدّ. وقد جهدت أثناءَها في أن تؤدّيَ رسالتها. هكذا اضطرت إلى إلغاء الفرع الداخليّ، ثمّ إلى التوجّه نحو أنشطة وموادَ تعليميةٍ جديدة، ثم إلى تطوير مختبراتها، وإلى تجهيز مراكز التوثيق والمعلومات، بالإضافة إلى مكتبة متخصصة لتنشئةِ المعلمين المستمرّة، ثم إلى تعديل أوقات الدوام، وقبول المزيد من التلاميذ المجاورين، ثم إلى التحول الى مدرسة مختلطة.

٣. ولكي تواجهَ المدرسةُ، بشكل خاص، الظروفَ السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في البلاد، فقد حاولَتْ جاهدةً أن تتحول إلى جماعة تربوية، حيثُ يكون كلُ فريق من مربين إلى أولياءَ وتلاميذٍ حاليين، وقدامى، مسؤولا عن حياة المدرسة وعن الروح التي ينبغي أن تنفحها في أثناء قيامها برسالتها.
وتحقيقاً لهذه الغاية، تأسّس في مدرسة سيدة الجمهور، بالإضافة إلى لجنة الأهل كما يحدّدها القانون اللبنانيّ، مجلس إدارة ولجنةُ أساتذة ولجان تلامذة.

٤. وكذلك، وبشكل متواز، لتمكين الجماعة التربويّة من ممارسة دورها كاملاً، أصبحت السُلطة في المدرسة لامركزيّة: فعُيّن عدّة مدراء لتنظيم الدروس، ومراقبة النظام، وترؤّس مجالس الصفوف واستقبال الأهل، وذلك بتفويض من الأب الرئيس المسؤول عن إدارة المدرسة. هذا الأخير تعيّنه الرهبنة اليسوعيّة، وواجبه السهر على أن يكون كلّ فرد أمينًا للمسؤوليّات التي قبلها عندما التحق بالجماعة التربويّة في مدرسة سيّدة الجمهور.

٥. وفي ما يلي الأهدافُ المحدّدة التي ينبغي أن تسعى المدرسة دائمًا إلى تحقيقها، مع انفتاحها على متطلبات العصر الحاضر، وذلك لكي تتضافر جهودُ الآباء اليسوعيين، مع جهود الأسر المعنية، وجهود المربين في سبيل إنجاحها، ولكي يعي التلاميذ، بوضوح، ما يُنتظر منهم.

إن مدرسة سيدة الجمهور، من خلال مشروعها التربويّ، تعتزم تحقيق ما يلي:
– توفيرَ الثقافة الأدبية والعلمية المتينة لتلاميذها؛
– إيقاظَ همّ المنفعة العامّة وإرهاف الحسّ الاجتماعيّ فيهم؛
– تنميةَ القيم الروحية النابعة من الإيمان المسيحي فيهم، وذلك مع احترام المعتقدات الدينية الأخرى.

أولا– الثقافة الأدبية والعلمية

١. إن المدرسة تركّز، خاصة، على تعليم اللغة والأدب العربيين، مع تمسّكها القوي بتأمين المعرفةِ المعمّقةِ للغة والأدب الفرنسيين، والتمكّنِ من اللغة الانكليزية للتعبير بها، بطلاقة. إن الغايةَ من هذه التعدديةِ لا تهدف إلى تسهيل التفاهم وحسبُ، بل إنها، بالنسبة إلى لبنان، شرطٌ أساسيٌ لديمومة ثقافته وحيويتها.

٢. ١.لكي توفّر المدرسةُ للتلاميذ إمكانيّة فهم اللغات الأجنبيّة، والتعبير بواسطتها بدون عناء، قراءةً وكتابةً ومشافهةً، إنّها تعلّم اللغةَ الفرنسيّةَ، ابتداءً من صفّ الروضة الثانية، والإنكليزيّة، ابتداءً من الصفّ الخامس الأساسيّ ولغاية الصفّ الثالث الثانويّ، والاسبانيّة، اختياريًّا، كلغةٍ أجنبيّةٍ ثالثة للطلاّب المعفيّين من البرنامج اللبنانيّ. وهي تتوخّى من تعليم هذه اللغات تأمينَ وسائل التثقيف التي تتعدّى الأهدافَ النفعيّة.

٣. لكي نجعلَ التلاميذ قادرين على التعبير عن دقائق الفكر المعاصر، لا بدَ من التأكيد على دور الترجمة، وهي التمرين الذي لا غنى عنه، نظراً لأهميته من ناحية نقلِ فكرةِ لغةٍ ما، في قالبٍ مختلفٍ، أو من ناحية تدريب الفكر على الدقة.

٤. إن الثقافة العصرية تستدعي، كذلك، تأهيلاً علميًا، بدونه قد يبقى تلاميذنا غيرَ مهيئين للعيش في البيئة التي تنتظرهم، ويصبحون عاجزين عن الإسهام في تطوير العلوم والتقنيات. يفترض هذا الإعدادُ تأمينَ أسسٍ متينة لموادِ الرياضيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية. كما يفترضُ تعليمًا دقيق التوازن، بين ما هو تجريبيّ وبين ما هو نظريّ.
إن هذه الثقافة العلمية تضمن لجميع التلاميذ، حتى للذين سيتجهون نحو فروع غير علمية، الحسَ الواقعيّ، والدقة في التفكير، والمنطق العمليّ، وهي أمور لا يخفى نفعُها.

٥. أخيرًا، ولكي يكتشف تلاميذُنا بلادهم فيتعلقوا بها، ولكي يتمرسوا بأصول إبداء الرأي حول الأحداث والشخصيات، ولكي لا يضطربوا، في ما بعد، أمام التغيرات التي تتعرض لها المجتمعات، باستمرار، نؤالف بينهم وبين معطيات التاريخِ والتربيةِ الوطنية والمدنية.
وللأسباب ذاتها، نستمر في إعلاء شأن الجغرافية بين مناهج التعليم، إذ إنها مادةٌ تعليمية من مواد التوعية.

٦. لقد وضعت المدرسة، بتصرّف التلاميذ، وسائل توثيق ومعلومات وتقنيّات للتواصل، في الصفّ وفي صالات خاصّة، من شأنها تسهيلُ التعلّم عليهم، لاسيّما المُتعدّد الموادّ.

٧. الأعمالُ التطبيقية في المختبر، والأبحاث في مركز التوثيق والمعلومات، وتحضير المعارض المختلفة، والقيام بسائر النشاطات التي تنمّي في التلميذ المهاراتِ اليدويةَ والحسَ الفني، تعتبر ضرورية لتحقيق تربية تتعدّى مستوى الكتاب المدرسيّ.

٨. بما أن الخدمة المثلى التي نستطيع إسداءها للتلاميذ تكمن في جعل ذكائهم في حالة تأهب، لذلك نطلب إليهم أن يكونوا نشيطين، وألا يكتفوا بالحفظ عن ظهر قلب، كما أننا نتحاشى إرهاق أذهانهم بكثرة التفاصيل.

٩. بقدر ما يتقدم تلاميذنا في السن، بقدر ما يكتسبون صواب الحكم وسداد الرأي، والشعور بلذة المجهود الشخصي، ومعنى القيم، والتملك من التعبير الجيد، شفهيًا وخطّيًا. وخلال السنوات الدراسية الأخيرة، نوجههم إلى العمل الشخصي، والتحصيل الذاتي، بطريقة تؤهلهم لمواجهة الدراسات العليا.

١٠. ولتوفير صحّة التلاميذ وتوازنهم النفسيّ، الشرطَين الأساسيَّين للعمل الذهنيّ، تُمارَسُ التربية البدنية والرياضيّة، وتُشجَعُ الرياضة. وتكون التجهيزات الرياضية متناسبة مع عدد التلاميذ، ومع مقتضيات البرامج المدرسيّة.

١١. ينبغي أن يتقدم كل التلاميذ اللبنانيين، في نهاية المرحلة الثانوية، من امتحانات البكالوريا اللبنانية والفرنسية.
وتبقى الفلسفةُ، في الفروع العلمية، التتمةَ الضرورية للعلوم المضبوطة وللعلوم الطبيعية، لا سيما إن لم نشأ النيل من مستوى الثقافة.

١٢. على تلامذة الصف الثانوي الثاني أن يتقدموا، إلزامًا، من الامتحانات المسبقة للبكالوريا الفرنسية.

١٣. تمنح المدرسة لتلاميذ الصفوف النهائية، وعلى أساس النتائج التي حصّلها التلميذ، خلال السنوات الثانوية الثلاث، ووفقًا للمقاييس التي ترتئيها المدرسة، شهادةً للتلاميذ الذين تتوفر فيهم الشروطُ المبتغاة، وتسمى هذه الشهادة: "شهادةَ مدرسة سيدة الجمهور".
تتوخّى المدرسة، من هذه الشهادة، حثّ التلاميذ على المزيد من الإفادة من وسائل التثقيف الموضوعة في تصرّفهم، وتنمية الفضول الذهنيّ لديهم والتفكير النقديّ والحسّ الجماليّ، بالإضافة إلى التفكير المنطقيّ والتعبير.

ثانيًا– الاهتمام بالمنفعة العامّة والحسّ الاجتماعيّ

١. إن مدرسة مسيحية لا تستطيع أن تكتفي بصناعة عقولٍ مثقّفة، بل يجب عليها، وبخاصة، أن تنشئ الطِباع الحرّة والقويّة، والقلوب المنفتحة والإرادات المنشغلة بالخير العامّ، و"رجالاً ونساءً من أجل الآخَرين".

إنّ ما يعطي مدرسة سيّدة الجمهور مبرّر وجودها هم الأشخاص الذين حصرت رسالتَها بتنشئتهم.

٢. يجب أن تتلافى المدرسة، الوقوع في فخ قصرِ تعليمها على دراسة الآداب القديمة، أو على نقل الثقافة، بطريقة مجردة من الاتصال بالواقع. بل توفّر لتلاميذها معرفةً دقيقة للعالم المعاصر، وتوقظ ضمائرهم لإدراك الدور الذي ينبغي أن يقوم به الإنسان الناضج في التنظيم العمليّ للعلاقات البشريّة.

٣. تسهر المدرسة على ألاّ تَدَع تلاميذها يعتقدون أن غايتها الوحيدة من تعليمهم تكمن في أن تجعلهم أقوى وأغنى، بفضل اتساع معرفتهم. يجب ألا تنسى أن مهمتها تكون في تنشئة أشخاص متجردين وأسخياء، يسعون إلى تطوير كل بلادهم ثقافيًا واقتصاديًا، ويتأهبون لتأدية الخدمات للآخرين، ساعة تتطلب الظروف ذلك.

٤. وهكذا، تقدِّر المدرسة معنى الامتحانات والشهادات، والسعي في سبيل النجاح المدرسيّ: متخطية الغرور الذي تُظهره الإحصائيّات، يقوم دورها الأساسيّ على تهيئة أشخاص قادرين على تحمّل المسؤوليات.

٥. وهكذا، يبرَّر تقديرُ العمل المتقن، كما يُفْهَم التشدُّد الذي يواجه به الكسالى الذين يدفنون، بأنانيّة، الوزنات التي نالوها، بدل أن يثمروها.

٦. وهكذا أيضًا، تُفهَم التشجيعاتِ التي توجَّه لكل ما يوفر الحياة الجَماعيّة، ويضمن روح الفريق الواحد والتعاون، وذلك في سائر النشاطات المدرسية والرياضية والفنية وسائر حركات الشبيبة. ويقابل هذه التشجيعات شجبٌ لكل منافسة قد تعطي الأولويّة للنجاح الفرديّ البَحت.

٧. وهكذا، نفهم الإلحاحَ البالغَ على أهمية شرطين أساسيين، ينبغي أن يتوفّرا، في كل علاقة إنسانية : الأمانةُ في كل الظروف، واحترام الآخرين من معلمين ورفاق وموظفين وعمال وغيرهم، مهما كانت طبقاتُهم الاجتماعية واختلافاتهم السياسية والدينية.

٨. وهكذا، أخيرًا، تُشرَّع الأهمّيّة المُعطاة للأعمال الفريقيّة، ولتبادلُ الآراء ووجهات النظر، لأنها تمهيدٌ للحياة الاجتماعية. لا شيءَ، بالنسبة للتلاميذ، يضاهي بفائدته اختبارَ تلك النقاشاتِ الحرةَ التي تعودهم على الجرأة في إبداء الرأي أمام الآخرين، كما تعودهم على حسن الإصغاء إليهم.

٩. يسعى المربّون في المدرسة، والأهل في العائلات، إلى:
– تنشئة الأولاد، عمليًّا، على الحياة الجَماعيّة؛
– أن يدرّبوهم، خلال الحياة اليوميّة، على حسّ التضامن، وأن يزرعوا فيهم هَمّ الخير العامّ؛
– أن يبثّوا فيهم محبّةَ وطنهم، على ألاّ تكونَ تعلّقًا عاطفيًّا مبهمًا، بل رغبةَ تأديةِ المنفعة له.

وهكذا، لا تستحيل التربيةُ المدنيةُ والتنشئة الوطنية التي تتلقاها الناشئة، ضربًا من الدروس النظرية التي تعلم تركيبة الدولة بمؤسساتها وأجهزتها الإدارية، بل تهيئ النشءَ عمليًا ليلعب دوره المواطني، بقبوله للآخر.

١٠. بما أن كل مهنة هي خدمةٌ معينة للمجتمع، قبل كل شيء، فإن المدرسة تسعى إلى اطلاع التلاميذ على المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعاني منها العائلةُ والبلاد والعالم أجمع. وتساعدهم، وإن مبكرًا، على تفهم حاجات الآخرين بطريقة أخَوية، ولا سيما حاجاتِ من كانوا ضحايا الظلم الاجتماعي. وهكذا، تهيئهم إلى ما سيقومون به لاحقًا من عمل، لبناء عالَم أكثرَ عدلاً. ولكي تعطيَ المدرسةُ مثلا صالحًا لما تبشر به، فهي تسهر بدورها علي أن تبنيَ علاقاتها مع الهيئة التعليمية، وسائرِ موظفيها على أسس العدالة.

ثالثًا – طابع المدرسة المسيحي

١. إنَّ مدرسة سيّدة الجمهور مدرسةٌ ملتزمة بالقيم الخالدة التي تمثلها تعاليمُ السيد المسيح، ومثلُهُ في الإنجيل المقدس. إنّها ليست مدرسةً علمانية. إنّها ليست مدرسةً حيادية.
فمن واجبها أن تعلّم، إذًا، أن قيمة الإنسان لا تقتصر على ثقافته، ولا على انتماءاته الاجتماعية.

٢. إن طابع المدرسة المسيحي لا يجعلها مدرسةً منغلقة على ذاتها، بل، بعكس ذلك، تبقى منفتحة على كل الأديان. إنها، إذ تنشئ تلاميذها على فهم صحيح للحرّيّة، لا تغفل، في بلد متعدد المذاهب كلبنان، أن تشمل حرّيّة الضمير.

٣. إذا كانت المدرسة تحترم الحرّيّة الداخليّة لتلاميذها، وتنبذ الوسائل المكيّفة لعقولهم أو الضاغطة عليها، فإنها لا تستطيع أن توافق العائلات والتلاميذ الذين لا يأبهون بالدين. إن هدفها الأساسي، بالفعل، هو أن تجعل الناشئين يجمعون في حياتهم وفي تفكيرهم الثقافة العصرية، إلى الإيمان بالله.

٤. لا ينحصر، إذًا، عمل المدرسة التربوي بتنشئة الضمائر المستقيمة والإرادات الطيبة التي تعمل بهدي هذه الضمائر.
ينبغي أن تكون المدرسة، بالنسبة للمسيحيين، مكانًا مميزًا يُنضِج إيمانهم. ولتحقيق هذا الهدف، يكون شغلُها الشاغل، خلال فترة وجود التلاميذ فيها للتحصيل، أن تؤمّن لهم تعليمًا دينيًا ملائمًا، وممارسة للطقوس والرتب المختلفة، كما تهتمّ بتسهيل الاجتماعات الدينية المسيحية على جميع الأصعدة، وبترغيبهم بالمشاركة الشخصية في رسالة الكنيسة.

٥. ينبغي أن يوفرَ الاتصالُ، بين المسيحيين وبين غير المسيحيين، معرفةً حقيقية للديانات الأخرى. كما ينبغي أن يحثَ كلَ واحد على توسيع قناعاته الدينية وتطويرها.

خـــــــــــــــــاتمة

١. بما أنّ قيمة الجماعة التربويّة ترتبط بالقيمة الذّاتيّة للأشخاص الذين يؤلفونها، تسهر المدرسة على أن ينفّذَ الجميعُ الأهدافَ التربويّة لهذا المشروع التربويّ. ومن أجل ذلك، تنظم دوراتٍ إعداديّةَ للمعلّمين، واجتماعاتٍ للأهل، لتؤمّن لهم تنشئة مستمرّة على دورهم. كما أنها تتحيّن الفرصَ لجمع التلاميذ القدامى. وكذلك تشجع الأنشطة الثقافيّةَ والاجتماعيّة والروحيّة، والأعيادَ الرياضيّة، واللقاءاتِ والاحتفالاتِ الدينية. وذلك لتحفيز جهود الجماعة في سبيل المزيد من التوعية والالتزام.

٢. إن طرأ، مستقبلاً، ما يستدعي تكييفَ هذا المشروع التربويّ، فلا بدَّ من الإبقاء على أسسه الجوهريّة. إذ بهذا الشرط وحده، يمكن لمدرسة سيدة الجمهور أن تحافظ على هويّتها، وتستمرّ في نقل رسالة مؤسِّسيها الأوّلين، بأمانة.